



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

قسم اللغة العربية

أنماط التربية في العصور القديمة (بين الممارسة العملية والاعتقاد النظري)

م.د. نزار مالك احمد

للعام الدراسي

(2026-2025)

أنماط التربية في العصور القديمة
(بين الممارسة العملية والاعتقاد النظري)
م.د. نصار مالك احمد

المحاضرة رقم (4)

مقدمة

لم تكن التربية في العصور القديمة عملاً عشوائياً أو نشاطاً فطرياً غير منظم كما قد يتبادر إلى الذهن، بل كانت عملية اجتماعية واعية في إطارها العام، تهدف إلى إعداد الفرد للحياة ضمن جماعته. فقد واجه الإنسان القديم بيئة قاسية، تتسم بندرة الموارد وغموض الظواهر الطبيعية وكثرة الأخطار، الأمر الذي فرض عليه تطوير أنماط تربوية تساعده على البقاء والاستمرار. ومن هنا انقسمت التربية القديمة إلى مسارين متكاملين: مسار عملي مادي يعنى بتأمين متطلبات الحياة الأساسية، ومسار نظري روحي يسعى إلى تفسير الظواهر الطبيعية ومنح الإنسان شعوراً بالأمن النفسي.

إن دراسة أنماط التربية في المجتمعات البدائية تكشف لنا أن الإنسان، منذ بدايات وجوده، كان يدرك أن بقاءه لا يتحقق بالقوة الجسدية وحدها، ولا بالإيمان الروحي وحده، بل بتكامل الجانبين معاً. فالتربية العملية كانت تحميه من الجوع والبرد والخطر، بينما كانت التربية النظرية الروحية تحميه من القلق والخوف والضياع أمام المجهول. وهكذا نشأت تربية شاملة تمزج بين الواقع المادي والعالم الغيبي في منظومة متوازنة.

أولاً: التربية العملية (الارتباط بالواقع المادي)

تعد التربية العملية حجر الأساس في حياة الإنسان القديم، ويمكن تسميتها بـ"تربية البقاء"، لأنها كانت موجهة أساساً لضمان استمرار الحياة في بيئة صعبة لا ترحم الضعفاء. وقد اتسمت هذه التربية بعدة خصائص رئيسية:

1. عالم المحسوسات .

تركزت التربية العملية على ما هو محسوس ومرئي وملموس في البيئة المحيطة. فالطفل كان يتعلم من خلال المشاهدة والتقليد المباشر، إذ لم تكن هناك مدارس أو مناهج مكتوبة، بل كان الكبار يمثلون النموذج الحي الذي يقتدي به الصغار. كان التعلم يتم في الغابات، وعلى ضفاف الأنهار، وفي الكهوف، ومن خلال الاحتكاك اليومي بالطبيعة

فالطفل يتعلم كيف يتتبع آثار الحيوانات من خلال مرافقة والده في الصيد، ويتعلم اختيار الحجارة المناسبة لصنع الأدوات عبر مراقبة الحرفيين في القبيلة. وهكذا أصبحت البيئة نفسها هي الكتاب المفتوح الذي يستقي منه الناشئ معارفه.

2. تنمية القدرات الجسدية واليدوية .

تميزت التربية العملية بالتركيز الشديد على تنمية القوة الجسدية والمهارات اليدوية. فقد كان على الفرد أن يكون قادراً على الجري لمسافات طويلة، وتسلق المرتفعات، وحمل الأثقال، واستخدام الأدوات البدائية بكفاءة. وشمل التدريب

- أ.الصيد باستخدام الرماح أو الأقواس البدائية
- ب.جمع الثمار والنباتات الصالحة للأكل
- ج.بناء الأكواخ والملاجئ من جذوع الأشجار أو الحجارة
- د.صناعة الأدوات الحجرية الحادة للدفاع عن النفس أو تقطيع الطعام

هذا النوع من التربية لم يكن اختيارياً، بل ضرورة حياتية، لأن التقصير في اكتساب هذه المهارات قد يعني الموت جوعاً أو التعرض للافتراس

3.الهدف الاقتصادي البسيط .

انحصرت أهداف التربية العملية في تأمين الاحتياجات البيولوجية الأساسية: المأكل، والملبس، والمأوى. لم يكن هناك فائض إنتاج أو تعقيد اقتصادي، بل كان الهدف المباشر هو البقاء والاستمرار. لذلك ارتبطت التربية بالعمل ارتباطاً عضوياً، وأصبح كل نشاط تعليمي موجهاً لخدمة الاقتصاد البسيط للقبيلة

ومن هنا يمكن القول إن التربية العملية أسهمت في تعزيز روح التعاون بين أفراد الجماعة، إذ كان النجاح في الصيد أو البناء يعتمد على العمل الجماعي. وهكذا لم تكن التربية فردية فحسب، بل كانت وسيلة للحفاظ على تماسك المجتمع.

ثانياً: التربية النظرية الروحية (عالم الغيبيات)

إلى جانب الجهد العملي، شعر الإنسان القديم بالحاجة إلى تفسير الظواهر التي يعجز عن فهمها. فالرعد والبرق والفيضانات والجفاف كانت أحداثاً تتجاوز قدرته على التحليل العلمي، ففسرها بقوى خفية وأرواح تتحكم في الطبيعة. ومن هنا نشأت التربية النظرية الروحية.

1. الارتباط بالغيبيات .

تعامل الإنسان القديم مع مظاهر الطبيعة على أنها كيانات حية ذات إرادة. فكان يعتقد أن هناك أرواحاً للغابات والأنهار والجبال، وأن غضب هذه الأرواح يؤدي إلى الكوارث. لذلك أصبح من الضروري تعليم الناشئة كيفية احترام هذه القوى والتقرب إليها.

وقد تم نقل هذه المعتقدات من جيل إلى آخر عبر القصص والأساطير التي كانت تُروى حول النار في المساء، فكانت بمثابة دروس تربوية تحمل قيماً أخلاقية واجتماعية، مثل الشجاعة والصدق والطاعة.

2. الطقوس والحفلات .

تجسدت التربية الروحية في طقوس جماعية تُقام في أوقات محددة، كطلب المطر أو الاحتفال بنجاح الصيد. وكان الأطفال يشاركون في هذه الطقوس منذ صغرهم، فيتعلمون الأناشيد والرقصات والتعاويذ الخاصة بكل مناسبة.

هذه الطقوس لم تكن مجرد ممارسات دينية، بل كانت وسيلة لغرس الانتماء والهوية الجماعية، إذ يشعر الفرد بأنه جزء من كيان أكبر يحميه ويوجهه.

3. تحقيق الأمن النفسي .

وفرت التربية النظرية للإنسان القديم نوعاً من الطمأنينة أمام المجهول. فبينما كانت التربية العملية تحميه من الجوع والبرد، كانت التربية الروحية تحميه من الخوف الوجودي. إن الإيمان بوجود نظام كوني، حتى وإن كان أسطورياً، يمنح الإنسان شعوراً بالسيطرة الرمزية على الأحداث

وبذلك أسهمت التربية الروحية في تحقيق التوازن النفسي والاجتماعي داخل الجماعة، ومنعت انتشار الفوضى أو اليأس في أوقات الأزمات

ثالثاً: دور الألعاب والنشاط التخيلي

لم تقتصر التربية القديمة على العمل الشاق والطقوس الروحية، بل شملت أيضاً أنشطة ترفيهية كان لها دور تربوي بالغ الأهمية. فالألعاب لم تكن مجرد تسلية، بل وسيلة تعليمية فعالة

1. تنمية قوة الملاحظة والتخيل .

من خلال الألعاب، كان الطفل يطور قدرته على الملاحظة الدقيقة ومحاكاة الواقع. فعندما يقلد الصيادين أو المحاربين في لعبه، فإنه يتدرب ذهنياً على الأدوار المستقبلية التي سيؤديها. كما أن النشاط التخيلي ساعده على فهم العلاقات بين الأشياء والأحداث

2. محاكاة أدوار الكبار .

أتاحت الألعاب للأطفال فرصة تجربة أدوار الكبار في بيئة آمنة. فالطفل الذي "يلعب الصيد" يتعلم استخدام الأدوات بشكل رمزي قبل أن يستخدمها فعلياً. والطفلة التي تقلد أمها في جمع الثمار أو إعداد الطعام. تكتسب مهارات تدريجية دون خطر

بهذا المعنى، كانت الألعاب جسراً انتقالياً بين الطفولة وعالم المسؤولية، وأسهمت في إعداد الفرد نفسياً واجتماعياً لتحمل أعباء الحياة

خاتمة

يتضح من خلال استعراض أنماط التربية في العصور القديمة أنها لم تكن بدائية بالمعنى السلبي، بل كانت نظاماً متكاملًا يلبي حاجات الإنسان الجسدية والنفسية والاجتماعية. فقد تكاملت التربية العملية مع التربية

النظرية الروحية لتشكلا منظومة متوازنة تهدف إلى بناء إنسان قادر على مواجهة الطبيعة وفهمها في آن واحد.

كما لعبت الألعاب دوراً بسيطاً مهماً في نقل المهارات والقيم إلى الأجيال الجديدة، مما يؤكد أن التربية، حتى في أبسط صورها، كانت عملية واعية تسعى إلى إعداد الفرد للحياة في إطار جماعته. وهكذا يمكن القول إن جذور الفكر التربوي الحديث تمتد عميقاً في تاريخ الإنسانية، حيث بدأت منذ اللحظة التي أدرك فيها الإنسان أن البقاء لا يتحقق إلا بالتعلم المنظم ونقل الخبرة من جيل إلى آخر.